تلبيس إبليس على الصّوفيّة



عرض وتقديم الشيخ : عبد الرحمن عبد السلام يعقوب

○ التلبيس : هو إظهار الباطل في صورة الحق .
وإبليس : هو الشيطان العدو المبين للإنسان ، والذي لا يفتر عن إغوائه ليضله عن سبيل الله .



وتلبيس إبليس : اسم لكتاب قيم ألفه الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى البغدادي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .
والكتاب يقع في أكثر من ٤٠٠ صفحة من الحجم فوق المتوسط ، ويتضمن ثلاثة عشر بابا تبدأ في : الأمر بلزوم الجماعة ، وتنتهي في ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل .

○ والملاحظ أن الباب العاشر وهو (تلبيس إبليس على الصوفية) قد استغرق معظم صفحات الكتاب ، وهذا إن دل فيدل على أن الصوفية كانت ولا تزال مرتعا خصبا في أفعالهم وأقوالهم للشيطان وجنوده .
ونعرض هذا الباب بإيجاز ، حتى يكون بلاغا لهؤلاء الناس وللمخدوعين من أتباعهم (الَّذينَ ضَلَّ سَعيهم في الحيَاة الدُّنيا وَهُم يَحسبون أَنَّهم يُحسنون صُنعاً) .

(١)

○ كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسلم مؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا ، وانقطعوا إلى العبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها عُرفت فيما بعد بالصوفية .

(٢)

وقد اختلف في نسبة هذا الاسم اختلافا كبيرا ، فقيل : إن النسبة إلى أهل الصفة الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وكانوا فقراء منقطعين إلا من الصدقات التي تُقدم إليهم ، وكان ذلك لضرورة طارئة عليهم فمنهم من لا يجد عملا ، ومنهم من لا يستطيعه ولا أهل لهم ولا مال ، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا للسعي والطلب ، « وهذه النسبة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل (صُفّي) . وقيل إن النسبة إلى صفاء القلب ، وهي غلط أيضا فلو كان كذلك لقيل (صَفِيّ) والأرجح أنه نسبة إلى قوم تزهدوا بلبس الصوف ، وعلى كل حال فإن التصوف تسمية مبتدعة في الإسلام لأنها ما عرفت إلا في القرن الثاني أو الثالث الهجرى .

(٣)

○ وقد لبَّس إبليس على أوائل القوم في أشياء ، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

(٤)

○ وكان أصل تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات ، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يُصلح أبدانهم ، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري .

(٥)

○ ثم جاء أقوام فتكلموا في الجوع والفقر والوساوس والخطرات والوجد والسماع والرقص والتصفيق ، ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا حتى سموا التصوف العلم الباطن ، والشريعة العلم الظاهر ، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الخلق والهيمان فيه ، وهؤلاء بين الكفر والبدعة ، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم . وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا دون سنة النبي ﷺ .

(٦)

○ ○ وصنف لهم شيوخهم كتبا خرجت بهم عن الطريق ، وقذفت بهم إلى الفساد أو الإلحاد .

○ من هذه الكتب الحلية لأبي نعيم ، وقوت القلوب لأبي طالب المكي ،

والفتوحات لابن عربي ، وإحياء علوم الدين للغزالي .

○ وقد حذر من هذه الكتب وأمثالها أئمة المسلمين ، سئل عنها أبو زرعة فقال : إياك وهذه الكتب فإنها كتب بدع وضلالات ، وعليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له : في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع » .

(٧)

○ وَلَبَّس عليهم في الولاية والنبوة فزعم نفر منهم أن الأولياء أفضل من الأنبياء ، وهم يطلبون من الأموات ما لا يُطلب إلا من الله فخرجوا بذلك عن الإسلام .

○ ومنهم من قال بالحلول والاتحاد كابن عربي والحلاج وابن الفارض زعموا بأن الله قد حل في مخلوقاته كلها بما فيها الحشرات والحيوانات والوحوش فكفروا بذلك كفرا صريحا .

○ ومنهم من زعم أنه يقابل الأنبياء ، ويرى الملائكة ويكلمهم جميعا ! !

(٨)

○ وَلَبَّس عليهم في الأموال ، فالأولون منهم تركوا العمل وركنوا إلى الكسل لأنهم شبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح ، فزاد فقرهم ، وقل حظهم ، ولبسوا الثياب المرقعة ، وأكلوا الطعام الردىء .

والمتأخرون منهم أخذوا بجمع المال واكتنازه لا من جهد قاموا به وإنما من أيدي المخدوعين بهم والذين يعطونهم الأموال مقابل منحهم البركات والرحمات . وليس هؤلاء ولا هؤلاء آخذين بتعاليم الإسلام متابعين لسنة النبي عليه الصلاة والسلام .

(٩)

○ ولَبَّس عليهم في السماع والرقص والوجد :

فقد أباحوه مطلقا ثم استعملوا الدف والزمر مع حلقات الذكر التي ابتدعوها فأضافوا إلى البدعة المحرمة فعلا محرما .

فقد قال النبي ﷺ : إذا أخذت .. أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وذكر منها : إذا اتخذت القيان والمعازف ..

○ ومنهم من زاد ضلاله في هذا فهو يجلس في مجالس رقص النساء وغنائهن ويسميه ذكرا .. ومدحا للنبي ﷺ .

○ ○ وهؤلاء جميعا أصبح للغناء عندهم ما ليس للقرآن من حظ فقد غلب على مجالسهم الغناء والرقص والتواجد ، ويسمونها مجالس العبادة ! !

(١٠)

○ وَلَبَّس عليهم في الكرامات فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء تعدت إلى ما لا يكون إلا لله وحده وقد شطح الصوفية في الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادروا بها قلوبهم ، وأخرجوهم بذلك عن طريق الهدى .

(١١)

○ ولَبَّس عليهم في ترك التشاغل بالعلم وحرمهم قراءة القرآن حيث استبدلوه بأوراد وأذكار فيها ما فيها من الشرك بالله ، والبعد عن الإسلام .

○ كما لَبَّس عليهم في فهم القرآن فأولوه على غير مراد الله وجعلوا له ظاهرا وباطنا ليتلمسوا من ذلك دليلا على نحلتهم الفاسدة .

(١٢)

○ هذا وغيره كثير ما تناوله وفصَّل القول فيه ابن الجوزي رحمه الله . وكأنه كان يتحدث عن صوفية هذا الزمان فعندهم هذا وأكثر منه . ولو عاش ابن الجوزى إلى زماننا هذا لرأى العجب .

(١٣)

○ فقد أصبح للصوفية طرقٌ ودول وجمعيات ومؤسسات وصحف وحكومات تشجعها وتقف من ورائها لأنَّ هذه الطرق سند لكل حاكم ظالم ، وعون لكل من يعمل ضد الإسلام والمسلمين .

(١٤)

○ وأصبح للصوفية مشايخ جهلة يُعبدون من دون الله عز وجل ، ومساجد يدفنون فيها شيوخهم ، تحت القباب والمشاهد والزينات والسرج متحدين بذلك رسول الله ﷺ الذي قال : « لَعَن اللهُ زَوَّاراتِ القُبُور والمتَّخِذين عَلَيها المسَاجدَ والسُّرج » .

(١٥)

○ وأصبح للصوفية موالد يرتكبون فيها جرائم ضد العقيدة والشريعة وضد تعاليم الإسلام جملة وتفصيلا .

(١٦)

○ وأصبحت كل طريقة تؤلف لنفسها كتبا تدعو فيها إلى نحلتها الباطلة وتخلع من خلالها على شيوخها كل ألوان التقديس والعبادة . وتضع للناس أورادا وأذكارا تصرفهم بها عن قراءة القرآن الكريم وسنة النبي العظيم[١].

(١٧)

○ وما من كتاب لهؤلاء وقع في يدي إلا ورأيت فيه ألوان الشرك وفنون الضلال .

○ فالشيخ أبو خليل يُسخر الجن والريح ويعلم الغيب ويطير في الهواء !!!

○ والشيخ الكردي وأبو هيكل والجفرى والشراوي وغيرهم يقولون في كتبهم : إن حضرة الشيخ من حضرة الله ، وما من بركة تحل بمريد لهم إلا وهي من بركتهم !

○ والبرهاني يزعم أن الله هو محمد ومحمد هو الله ! ! وأنه موصول بهما ! !

○ والعربي يصلي في الكعبة كل فريضة وهو قابع مع الشيطان في خلوته بصعيد مصر[٢] .

○ وغير ذلك مما يضيق عن حصره المقام .. ألا ساء ما يزرون .

○ وإن شئت أن تقيس مدى جهل الكثير من المسلمين فاذهب إلى مجالس هؤلاء وأمثالهم ، وسترى العجب مما لا يستغرب معه ما فيه المسلمون من تخلف وما هم عليه من ضعة وهوان .

(١٨)

○ شيخنا ابن الجوزى ، إن صوفية زماننا هم صوفية زمانك وأضل ، فهم الآن في حماية كثير من الملوك والرؤساء والسلاطين ، أليس هم الذين يخدرون الشعوب ويسيرون في مواكب الظالمين والمنحرفين ؟ أليس هم الذين جعلوا الإسلام خيالات وأوهاما ورقصا ودجلا وشعوذة ؟

○ إن إبليس هو إبليس ، وتلبيسه هو هو ، والرجال هم الرجال ، والطرق كثرت وتشعبت وكلهم في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة التي بقيت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، جعلنا الله منها ، وحشرنا في زمرة أهلها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، إنه سميع مجيب .

---

(١) ومنها كتاب دلائل الخيرات وديوان ابن الفارض

(٢) أسماء لمشايخ مضلين في مصر والسودان